٣٠ آذار

(أعلناه يوماً للأرض. وأعلنته دماء شهدائنا عيداً فلسطينياً من أعياد الصمود والفداء..)

١ ـ مع الشهداء ..

« كلّ عام وأنتم بخير »
صاحها دمكم وانكفأ
ساخناً نابضاً في وحام الجذور
نيزك الحب والحقد صاح : انهضوا !
أج في الليل ناراً ونور
أشعل الحب والحقد في دمنا
زلزل الطمي في غورنا وانكفأ

دمكم ـ دمنا
سال لكنه ما انطفأ ..

(يا ام الشهيد زغردي
كل الشباب اولادكِ)

الاذاعات والصحف المترفه
تجهلُ الفرق يا اخوتي
بين معرفة الدم والمعرفه
فاكرزوا في الشعوب اكرزوا بآسمنا
دمكم صوتنا !

أين سخنين . عرابة . كفر كنه ؟
أين بحر البقر ؟
أين يا إخوتي دير ياسين أو كفر قاسم ؟
أين يا إخوتي نور شمس ؟
أين يا إخوتي عين جالوت أو ميسلون ؟
أين ؟

لا نسألُ !

أين ؟

لا نجهلُ !

نحن لا نجهل الفرق يا إخوتي

بين معرفة الدم والمعرفة

نحن لا نسأل الخارطه

دمكم وحده الخارطه

ليس للنقب أو للجليل

دمكم شارة في الطريق الطويل !

عندما يفقد الزمن النذل أعصابهُ

عندما يفتح الموت أبوابهُ

تنتخي أختنا ، يرتخي المستحيل

ويصيح العذاب الفتي العجوز :

زيوناز

قرية الشهوة القاتلة

ينتهي أمرها نقطة في كتاب الرياح

اكتشفتُ منابعها والمصب
ينتهي أمرها نقطة في كتاب الرياح
بيننا النار والدمع والشجر اليابسُ
بيننا أبدٌ دامسُ

فلتقل كل ما تشتهي
ولأقل بعض ما أشتهي
في الصباح
أمرها منتهٍ
نقطة في كتاب الرياح .

لعناوينها شفرة (أيها الموت خذ بيدي)
لدمي شفرةٌ ..
فانهضوا !
حكمة الدم يا فتيتي ان يسيل !

(تنقذني من موتي البسمة
يا وطني تنقذني البسمة
حين أرى أطفالك في الساحات
شرراً يحرق أعصاب الذبّابات

حين أرى أطفالك
يلقون قشور الموز على الطرقات
فعسى ولعلّ
يتزحلق علجٌ من جيش المحتلّ !)

يا له من عماس
أن تداس الشفاه التي أقسمت
أنها لن تداس !
عارنا فادح . حقدنا فادح . والألم
هل بكينا ؟ أجل !
غير أن دموع الغضب
لهجة في بلاد العرب
فاسمعي يا جميع الأمم

(أرض الملّ لأصحابه
مش لرابين وكلابه)

موتنا جملة كامله
فلنفك الرموز معاً
ولتكن بئرنا راحة القافله

بثرنا ؟
بحة الموت في صوتنا
صوتنا ؟
يعلم الله يا صاحبي
يعلم الله يا صاحبي

بين ليلين : ليل الهلاك وليل الهلاك
تقرع الارض اقدامنا الحافية
والضباع هنا أو هناك
ترصد الخطوة الباقيه
غير أن الألم
لم يزل جاهزاً للقتال
والشجر
لم يزل جاهزاً للقتال
والمطر
جاهز للقتال
فاسمعي واشهدي يا جميع الأمم

(بالروح بالدم
نفديك يا وطن)

عندما أطلقوا النار صاح الشهيد
أطلقوا النار كيف اشتهيتم
طلقة .. طلقة .. وانتهيتم
ثم غاص الشهيد
في مطاوي جذور الجدود
واستوى في ذَرى مكة صائحاً :
وها أنا يا يوم القيامة عاظِبُ
يـبـددني وَكْسٌ ويجـمـع لازبُ
تدثر أثواب الأفاعي جـوارحي
وينهشني همٌ من الروح ناصب
ولكنَّ لي سـراً قديماً ذخـرتـه
يشع فدربٌ في الدجنات لاحب
أُنـاقِبُ فيه كـل وجـه نسيتـه
وكم شام وجهي في ثناياه ناقب

مقيمٌ على ضيمٍ مقيمٍ .. وانني
مقيمٌ وطاغوت الطواغيت ذاهب
فيا قاتليَّ استكملوا كل عـدة
وصولوا وجولوا واحشدوا وتكالبوا
تقمَّصت الحـوبـاء مني عــوالمـاً
اذا غاب منها نابض عاد غائب
ويا قاتليَّ اليوم صـدقٌ شهادتي
ومـوت المحبين المعـاميد كـاذب
أنا الحقُّ جلتْ عن نكوصٍ مشيئتي
وها أنذا قد شئت والحق غالب

ثم ضجت شراييئهُ
وعلى مسمع المخوذ البربريه
صاح في الساحة المركزيه :
جسدي غيمة . صخرة . مدرسه
جسدي ألف طفل جديد
جسدي قبلة . صاخة

جسدي أرغن الموت والبعث
فلتسمعي يا جميع الأمم :
أهديلٌ ؟ أم غرغرات دماءِ ؟
أم لواء مصفق للواءِ ؟
أم تراها زغرودة للسرايا
أطلقتها سُكَيْنة من خباء ؟
لا تسل . والجواب في كل وجه
من وجوه العروبة السمراء
غمغمات وجلجلات تدوِّي
بين فجرٍ كاب وليلٍ مُضاء
يقتل الجزرُ مدّه . ثم يعلو
ألف مد على رقاب الفداء
انها سُنّةُ البطولات : كرٌّ
بعد فرٍّ . ومطرح للرجاء
فتقرّ القبور لا لوقوف
وبكاء .. لكن للاستيحاء !

(يسعدني أن أعلن للعالم
أنك يا وطني ترجيء موتي حتى ميعاد آخر
حتى يتضح الفرق الهائل
بين المعرفة ومعرفة الدم
فلتأت شعوب الأرض إليَّ اليوم
ولتسمع أرغن جسدي
يتفجر بالدم الصاخب
بين الكدف الأحمر والعشب الأخضر
ولتشهد وجهي الساطع في ليل الأعداء
شمساً تحرق ذيل العصفوره
ناراً تأكل جذر الاسطورة .
ولتدل شعوب الارض بأقوال شهادتها
في محكمة العدل الدولية
لا في لاهاي .. ولكن في سخنين !)

ـ كيف حال البقايا . بقايا الحضارات من ليلها الهتلري ؟
ـ أصبحوا اليوم في حالة جيده !
يتقنون الهجوم المفاجيء
يتقنون السجون الحصون المواني
يتقنون المطارات (في أرضنا) والملاجيء
يحسنون اقتحام البيوت
لاعتقال صبي يموت

أصبحوا أقوياء
يجرؤون على نسف دار وتشريد طفل
أصبحوا أقوياء

يجرؤون على غزو مدرسةٍ
يجرؤون على سحق شيخ وتسميم حقل
أصبحوا أغنياء
يشترون بأثمان أطفالهم ما اشتهوا من سلاح
أصبحوا مأتماً دائماً

في الطريق إلى مهرجان الصباح !

آن أن يزهق الباطلُ
آن أن يعلم اللص والقاتل
أنه لن يطول الحوار
بين كف الشعوب ومخرز أعدائها

لن يطول الحوار
بعد ليل قصير يطلُّ النهار
تجمع الأرض أشتات سيمائها

ينطق الأخرسُ
ينهض المقعدُ
تبرأ الشمس من كل أوبائها

عاود الفرس والروم كَرّاتهم
لحمنا نهب أنيابهم ..
فاخرجوا من شراييكم !
آن يا إخوتي
آن أن نبعث الثائر المصطفى
آن أن نشهر الثورة الرُّمح والمصحفا
آن أن يعلم اللص والقاتلُ
أنه زائلٌ
زائلٌ
زائلُ !

٢ ـ مع الموت شخصياً !

سلّموا لى عليه
والثموا راحتيه
صار حنجرة . جرساً . مطرقة
أنظروا !
ها هي الارض يا إخوتي
باسمهِ تفتح اليوم أبوابها المغلقة !

من قديم الزمان التقينا بهِ
من قديم الزمان انتمينا إليه
سلموا لي عليه
أيها الموت ـ قولوا له ـ أيها الموت يا خبزنا
أيها الموت يا كنزنا
من قديم الزمان انتمينا اليك
ما بخلت علينا

أياديك تلوي باعناقنا
ووهبناك كل الذي تشتهي
ما بخلنا عليك
وانتمينا إليك !

(هل يختلط الأمر علي ؟
هل يختلط الحابل بالنابل ؟
تتنافى الأقطاب
تندغم الأقطاب
توصد أم تفتح من حولي الأبواب
ويلمِّي . أقضم شفتيّ
هل يختلط الأمر عليّ ؟!)

يومها .. أَوْلَمَ الموت
فاجأته قبل أن يلمس الزاد
حيَّيتهُ محرجاً
صاح في غبطة : يا هلا !
جائع أنت يا صاحبي
والطعام هنا وافر . يا هلا !

جائعاً كنت ، يا إخوتي ، مبتلى
واقتحمت الطعام . التهمت يديَّ
التهمت على عَجل عنقي . واكتفيت
جرعت نبيذ دمي وارتويت .
قلت : شكراً جزيلا
دعاني الى الوجبة القادمة .
كانت الوجبة القادمة .
يوم أن أكلت كل أولادها القرية الظالمة !

(يتخبط في الزنزانة دوريّ
يرفض ان يمكث في الأسرِ
ويرفضُ ان يرحل
الزنزانةُ محكمةُ الأقفال ، يحاصرها عسكر زيوناز
صاح : « أجرني ! »
رد الباب « اجيرك ! »
ردَّ العشبُ الأخضر من تحت نعال الجند
تَقتُلُ أو تُقْتَلْ
لكن لا ترحلْ »
ردت أزهار البريةِ من سفح التلّ :
« أنت القول الفصلْ ! »

قال : « الموت المرُّ . إذن .. »
ردَّت أشجار الزيتون : « بل الموت العالي !
لا بأس عليك
واضرب بجناحيك
حتى لا تسقط
واضرب بجناحيك ! »)

حالة الطقس : صوانة في حساء العدو
شجر زاحفٌ
حفنة من تراب الوطن
في عيون العدو .
صيحة شعشعت في التلال :
« راية .. أو كفن » !
حالة الطقس : مستقبل عاصفٌ
يا نسيم المساء العليل
كيف حال القتيل وأم القتيل ؟
إنما الوقت يا إخوتي غامضُ
قابل رافض ..

(أنت تحديت استشريت سطوت
أنت تماديت قسوت استعديت غزوت
فاركع
وتصدع
نوك أوت
أنذا صاعقة الموت !)

فارس الدم والمسك والقمح والياسمين
عاد من غربة في أقاصي السنين
سلموا لي عليه
والثموا راحتيه ..
كان همهمة الناسكين
بانتظار الأعاجيب في لهفة المحرقة
صار حنجرة . جَرَساً . مطرقة
فانظروا !
ها هي الأرض يا إخوتي
باسمهِ ،
تفتح اليوم أبوابها المغلقة !

(الجديد ـ ٣ ـ ٧٦/٤)